أفما تسلّين معي إذن ايتها الغانية اللَعُوب العابثة بالقلوب بأن الغرور هو الذي جعلكِ تطلبين محالاً وتسعين ورآء اوهامٍ واباطيل تعيد صحتكِ سقماً وثروتكِ إقلالاً فيلمّ بكِ النقص من حيث تطلبين الزيادة وينالكِ الشقآء من حيث تبتغين السعادة

فما أخدع ما زينت لكِ الأماني وما اضل ما زخرفت لكِ المطامع . ومن الغريب ان لكِ حقوقاً مسلوبة تكفل لكِ السعادة المنشودة لو سعيتِ ورآء استردادها لكنتِ عادلةً في الطلب فغادرتِها جُزافاً وأُولعتِ بما ليس لكِ تحاولين نيلهُ تهوُّراً واعتسافاً فكنتِ كصاحب قطيع من الاغنام أبصر في بعض السفوح وعلاً يقفز ويثب فتوهمهُ عن بعدٍ كبشاً ضالاً عن قطيعهِ فاخذ يعدو ورآءهُ مكابداً عرق القربة حتى اذا لحق بهِ بعد تمادي العنآء عرف انهُ وعلٌ يستحيل عليهِ امساكهُ فعاد أَدراجهُ آسفاً على ما لقي من التعب. ولما انتهى الى حيث كان رأى أَغنامهُ مشرّدة وادواتهِ مبدّدة. هذه نتيجة عدم التروي في مصاير الامور قبل مباشرتها وعدم اعطآء الاشيآء حقها من التبصُّر حال مزاولتها (ستأتي البقية)

خبايا الزوايا

وردتنا عدة اسئلة من بعض مشتركينا الادبآء عن اشيآء من مأثور الشعر والنثر اشتهر ذكرها بين الخواص ولكنها غير متداولة بين القرآء لندرة نسخها وعزّة الوصول اليها منها مقالة الملك النعمان لكسرى المشار اليها في خطبة نجعة الرائد ومنها الرسالتان السينية والشينية للحريري صاحب المقامات ولهاتين الرسالتين ذكرٌ في بعض كتب الادب ومنها القصيدة الطنطرانية التي عارضها المرحوم والد صاحب

هذه المجلة بالقصيدة التي رواها لهُ حضرة الكاتب الاديب امين افندي الحداد في ترجمتهِ في صدر النبذة الاولى من ديوانهِ فرأينا ان نثبت هذه المذكورات كلها الواحدة بعدالاخرى مع تحرّي ما استطعنا من الصحة في روايتها وتفسير ما في بعضها من الغريب حيث تدعو اليهِ الحاجة تتمةً للفائدة و بالله التوفيق

فاما مقالة الملك النعمان لكسرى فقد ذكرنا ملخص ما كان من امرها هناك وهي مطبوعة في الجزء الاول من كتاب العقد الفريد في باب الوفود (صفحة ١٢٤ وما بعدها من النسخة المطبوعة في مصر) ولكنا عثرنا لهـا على نسخةٍ اخرى في احدى المجموعات القديمة منقولة عن كتاب تحفة الاخلاّء فرأينا ان نعدل اليهـا هنا حتى ان من وقف على صورتها هناك لا يعدم فائدة الجمع بين النسختين · وهذا نصّ النسخة المشار اليها

وفد النعمان على كسرى[1] وقد حمل اليهِ هدايا مما يكون في بلاد العرب مثل الدرّ وأواني الجَزْع وحُلَل اليمن والوَرْس الاحمر والسيوف اليمانيـة والخيل والابل العربيـة . فدخل عليهِ وعندهُ وفود ملك الصين ووفود ملك الهند ورسل ملك الاتراك واخو قيصر ملك الروم وافاضوا في الحديث فذكروا بلادهم وافتخروا بقومهم وقوة ملوكهم وطيب ارضهم وكثرة خيراتها . وتكلم النعمان فافتخر على جماعتهم بالعرب من غيرتهـا وكرمها وشرفها وبحبوحة ذكرها وحسن وجوهها ورصانة عقولها وفصاحة منطقها وحكمتها في اشعارها ولم يستثنِ بكسرى ولا باهل مملكتهِ . فاخذت كسرى الغيرة فقال يا ابن المُنذِر اني قد نظرت في جميع الامم و بلادها فرأيت الروم لها حظٌّ في اجتماعها وكثرة مدائنها وحسن بنآئها ولها مع ذلك دينٌ يحلل حلالها ويحرّم حرامها وملكٌ يجمع امورها ويحميها من

١ المراد به كسرى بن هرمز بن كسرى انوشروان وكان ملكه سنة ٥٩٠ للميلاد

عدوّها ويأخذ لضعيفها من قويّها . واهل الهند لها حظٌّ في حكمتها وعزائمها وطيب بلادها وكثرة عطرها ولها دينٌ يفصل بين حلالها وحرامها وملكٌ يجمع بين اقاصيها وادانيها ويلي الحكم بينها ويمنعها من عدوّها . والصين لها حظٌّ في صنائع ايديها وهمتها في آلة الحرب وجودة صناعة الحديد والاواني ولها دينٌ يحلل ويحرّم وملكٌ يحكم ويجمع ويمنع . والخزر والاتراك لهما شدة ونجدة وبأس وملِكان يحميان ارضهما ويقوّمان أَودهما متوارثَين المُلك خَلَفًا عن سَلَف ولست ارى للعرب من ذلك شيئاً . وان مما يدل على تقاصر همتهم رضاهم ببلادهم التي هم بها من تلك القفار والبراري مع الوحوش النافرة والسباع الضارية يقتلون اولادهم من الحاجة ويغزون بعضهم بعضاً من الفاقة . وقد خرجوا من لذّات الدنيا طعاماً وشراباً افضلُ طعامهم لحوم الابل التي يعافها كثيرٌ من الطير والوحش وان احدهم ليقري الضيف يوماً واحداً في دهرهِ ويشبع الشَبْعة الواحدة في عمرهِ فيجدها غُنماً فصال بذلك شعرآؤهم وافتخر مفتخروهم خلا ارض اليمن فان جدّي كسرى انوشروان سنَّ لها اجتماع ألفتها ونصب لها مملكتها فجرى بها ذلك الى الآن وان لها شيئاً من الاثاث واللباس والحصون والقُرَى واموراً تشبه بعض امور الناس . فقال النعمان ايها الملك ان عندي جواباً لكل ما تفوهت بهِ من غير تكذيبٍ ولا ردّ فان أمّنتني غضبك تكلمت . فقال كسرى قل ما بدا لك غير مَلُوم . قال النعمان اما أُمّتك ومملكتك فلا تنازع في فضلها وما هي عليهِ من احلامها وسطوتها وما كنفها الله بهِ من ولايتك وولاية آبائك عليها من قبل . واما سائر الامم فاية امةٍ منها تقرنها بالعرب الا

وكان الفضل للعرب . قال كسرى ولمَ ذا . قال لعزّ العرب ومنعتها وحسن وجوهها وصفآء الوانها وشدة بأسها ونجدتها وجرأة قلوبها وغِلَظ اكبادها وأَنَفتها من الهوان وصحة انسابها وفرط كرمها وفصاحة كلامها وكثرة حكمتها في اشعارها وجودة عقولها وتمسكها بما هي عليهِ من دينها . فأمّا عزّتها ومنعتها فانها مجاورة لآبآئك الذين دوّخوا الأَرَضِين واحتووا عليها وذلّت لهم الملوك فلم يطمع فيهم طامع ولم يعلق بهم متطاول ولا متناول . حصونهم صهوات خيلهم وسقوف بيوتهم السمآء وسواهم حصونهم القلاع وجزائر البحار وسقوفهم الخشب . واما حسن وجوههم فقد عرفت فضلهم على الهنادك[1] المحترقة الوجوه والروم المشوّهة الوجوه والاتراك والصين العريضة الوجوه والحبش السود الوجوه . واما معرفتهم بانسابهم فانهُ ليس في الامم امةٌ الا وقد جهلت آبآءها واصولها وكثيراً من اوائلها فالرجل منهم ربما سُئل عن ابيهِ الذي خرج من صلبهِ فلم يعرفهُ وليس في العرب احدٌ الا ويسمي آبآء آبآئهِ حتى ينتهي الى آدم . فقد عرفوا انسابهم وضبطوا اصولهم فلا يستطيع احدٌ منهم ان يدخل في غير قومهِ ولا يكون احد فيهم مجهول النسب . واما دينهم فانهم متمسكون بهِ محافظون عليهِ وقد بلغ من ذلك ان لهم أَشهُراً حرُماً وبيتاً حراماً ينحرون فيهِ ذبائحهم وينسكون مناسكهم ويسوقون اليهِ انعامهم ويهرعون بأَجمعهم الى حجّهِ فيلقى الرجل منهم قاتل ابيهِ او اخيهِ في ذلك البيت وفي ذلك الشهر وتحمل بهِ الدمآء على اخذ ثأرهِ فيحجزهُ تمسكهُ بدينهِ فلا يتعرض لهُ بمساءة . واما وفآؤهم

---

١ هم اهل الهند واحدهم هندكيّ وهي من شواذ النسب ويقال ايضاً هنديّ والجمع هنود

فان الرجل منهم يبلغهُ ان الرجل استجار بهِ او لجأ اليهِ فيمنعهُ من كل من ارادهُ ولا يُخفِر ذمّتهُ ولا يسلّمهُ ابداً ولو قُتِل دون ذلك وهلكت عشيرتهُ وفآءً منهُ وحفظاً لعهده . ويلجأ الي الرجل منهم المخذولُ المطلوب من غير ان يكون ذا قرابة وذا رَحِم فيبذل دونهُ مالهُ ونفسهُ . وان الرجل ليلحظ اللحظة ويومئ الايمآءة فيجعل الملحوظُ نحوهُ والمُومأُ اليهِ ذلك عهداً وثيقاً لا يحلّهُ الا خروج نفسهِ . واما ألسنتهم فان الله عز وجل قد اعطاها من ايجاز المنطق وعذوبتهِ مالم يُعطِهِ احداً من الناس مع ضربهم الامثال ونظمهم الشعر شيخاً وصبيًّا ونطقهم بالحكمة . واما خيولهم فافضل الخيول الخيل العتاق . واما لباسهم فافضل اللباس حُلَل اليمن . ونسآؤهم اغنّ النسآء ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجَزع[1] وعشب ارضهم الوَرْس[2] ومطاياهم الابل التي لا تُقطَع الاسفار البعيدة الا عليها ولا تُسلك القفار والفيافي الا بها . واما كرمهم فان الرجل يكون لهُ البعير او الناقة التي منها زادهُ ونفقتهُ وهي مركبهُ ومحملهُ فيطرقهُ الضيف الذي يجتزئ بالأَكلة[3] ويكتفي بالبُلغة[4] فينحرها لهُ . واما ما ذكرت من ان ليس لهم ملكٌ يجمع اقاصيهم ويمنع عنهم كسائر الامم فسائر الامم انما ملّكوا عليهم ملوكاً لانهم اقرّوا من انفسهم بالضعف وخافوا عادية اعدآئهم فملّكوا عليهم ملوكاً تدفع اعدآءهم عنهم وتأخذ لضعيفهم من قويّهم . واما

---

١ هو ضرب من الحجارة يكون باليمن فيه سواد وبياض ٢ هو نبت اصفر يكون باليمن يصبغ به قال الاصمعي نباته كنبات السمسم فاذا جف عند ادراكه تفتقت سنفته اي وعآء ثمرته فينتفض منه الورس ويخرج صبغه اصفر فاذا كان حديث العهد بالزرع كان في لونهِ حمرة وهو اجوده . اه تحصيلاً ٣ يجتزئ اي يكتفي والاكلة بالفتح الوجبة الواحدة من الطعام
٤ مقدار ما يمسك الرمق من الطعام

العرب فقد كادوا يولدون كلهم ملوكاً لغِلَظ اكبادهم وأَنَفتهم من الاقرار بالقهر وأداء الخراج ولكل قبيلةٍ رئيسٌ منها يحمي مَن يليهِ

واما ما ذكر الملك من قتل اولادهم من الحاجة فانما يفعل ذلك من يفعلهُ منهم بالإناث دون الذكور أَنَفةً من العار وغيرةً من الازواج لا من الحاجة والضُرّ[1] . واما ما ذكرت من اكل الابل فوهمتَ انها زهِمة[1] اللحوم غليظة الشحوم خبيثة المذاق فليست كذلك بل هي اكثر النَعَم[2] شحماً واطيبها لحماً واحلاها مُضغةً واقلها غائلةً وانما ترك العرب ما سوى الابل لِما احتقروا منها فعمدوا الى اعظم الأَنعام واقواها فجعلوها ركابهم وطعامهم . واما ما ذكر الملك من ارض اليمن وما كان من كسرى انوشروان في مملكتها فانهُ انما بعث اليها بالجيش عند غلبة الاحباش عليها فورد على امرٍ مستوسق[4] وجندٍ مجنَّد ولولا ما كان من تحاسُدهم على سلطانهم وتنافُسهم في ملكهم ووقوع المعصية بينهم حتى حملهم ذلك على التحاسد وحداهم على التخاذل لما قدرت الاحباش على اقتناصهم سلطانهم وابتزازهم اياهُ ولكان فيهم من يجيد الطعان ويأنف من الضيم يستغنون بهِ عن استنصار غيرهم . اه

قال فلما سمع كسرى ما اجابهُ بهِ النعمان عجب من رصانة عقلهِ وإِدلآئهِ بالصواب في قولهِ وما احتجّ بهِ عن قومهِ وأُعجب بجُرأَتهِ وإِقدامهِ وجودة حوارهِ فقال يا ابن المنذر انك اهلٌ لما انت فيهِ من السيادة على قومك ولقد اصبت في كلامك وصدقت في حجتك ثم كساهُ خِلَعاً كثيرة من

---

١ الفقر ٢ اي زنخة ٣ النعم هنا بمعنى المواشي ٤ اي على ملك مجتمع

لباسهِ واكرمهُ وردّهُ الى مملكتهِ وقد زاد بما سمع منهُ نُبلاً عندهُ وحُظوةً لديهِ . انتهى

الريح والشجر

معلوم ما للريح من القوة حتى انها تنتسف الابنية الضخمة وتُطير سقوف المنازل وتقتلع الشجر العاديّ بل ربما كان فعلها بما يعترضها من الاشباح الكبيرة اعظم جدًّا من فعلها بما تمرّ عليهِ من الاشباح الضئيلة كالعشب والزرع فانها لا تزيد مهما اشتدّت قوتها على ان تفيّئهُ وتحني رؤوسهُ امام ممرّها فاذا جازت لم تترك فيهِ اثراً يُذكَر . الا ان هنالك فعلاً آخر للريح اذا استمرّت على مهبٍّ واحد فانها تحني الشجر وتميلهُ شيئاً فشيئاً وبتكرُّر ذلك على الايام يثبت على انحنآئهِ . واكثر ما يعايَن ذلك على شواطئ البحار لما أن الرياح هناك تكون دائمة الهبوب الى اتجاهٍ واحد اي من جهة البحر الى البرّ ولذلك ترى الرمال التي تقذفها الامواج على الشاطئ تحملها الريح فتجعلها أحقافاً وكثباناً ثم تبددها من هناك في كل وجه حتى يتألف منها صحارى رملية تعمّ بقاعاً واسعة من الارض . ثم ان الريح فضلاً عن حملها تلك الرمال ونقلها من موضع الى موضع فان ما تحملهُ منها يؤثر بقوة هبوبها على ما تمرّ بهِ وهو السبب فيما يرى في بعض الصخور من الاضراس والتتوءات لانهُ باستمرار وقوع الرمل عليها بتلك القوة تتآكل في المواضع الهشّة ويبقى ما صَلُبَ منها بارزاً . وكذلك ما يُرَى في زجاج المنازل المجاورة للرمال اذا كان زجاجها مواجهاً للريح فانهُ يتخشن حتى